

سنن النبي (ص)

[52] أضره إلى عذاب النار وبئس المصير " (1). يسأل ربه أن يتخذ أرض مكة - وهي يومئذ أرض قفرة وواد غير ذي زرع - حرما لنفسه ليجمع بذلك شمل الدين، ويكون ذلك رابطة أرضية جسمانية بين الناس وبين ربهم يقصدونه لعبادة ربهم، ويتوجهون إليه في مناسكهم، ويراعون حرمة فيما بينهم، فيكون ذلك آية باقية خالدة في الأرض يذكرها كل من ذكره، ويقصده كل من قصده، وتتشخص به الوجهة، وتتحد به الكلمة. والدليل على أنه (عليه السلام) يريد بالأمن الأمن التشريعي الذي هو معنى اتخاذه حرما دون الأمن الخارجي من وقوع المقاتلات والحروب وسائر الحوادث المفسدة للأمن المخلة بالرفاهية قوله تعالى: " أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شئ " (2) فإن في الآية امتنانا عليهم بأمن الحرم وهو المكان الذي أحترمه الله لنفسه، فاتصف بالأمن من جهة ما أحترمه الناس لا من جهة عامل تكويني يقيه من الفساد والقتل، والآية نزلت وقد شاهدت مكة حروبا مبيدة بين قريش وجهم فيها، وكذا من القتل والجور والفساد ما لا يحصى، وكذا قوله تعالى: " أولم يروا أننا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم " (3) أي لا يتخطفون في الحرام لاحترام الناس إياه لمكان الحرم التي جعلناها. وبالجمله: كان مطلوبه (عليه السلام) هو أن يكون في الأرض حرم تسكنه ذرية، وكان لا يحصل ذلك إلا ببناء بلد يقصده الناس من كل جانب فيكون مجمعا دينيا يؤمونه بالسكونة واللواذ والزيارة إلى يوم القيامة فلذلك سأل أن يجعله بلدا آمنا، وقد كان غير ذي زرع فسأل أن يرزقهم من الثمرات حتى يعمر بسكانه ولا يتفرقوا منه. ثم لما أحس أن دعاءه بهذا التشريف يشمل المؤمن والكافر قيد مسألته بإيمان المدعو لهم بالله واليوم الآخر فقال: " من آمن منهم بالله واليوم الآخر " وأما

(1) البقرة: 126. (2) القصص: 57. (3)